فرض تأليفى فى المقال الأدبى عدد1

السنة الدراسية 2013-2014: المستوى: 3اداب 2

ملتقى أساتذة العربية في ولاية نابل

الموضوع

لا يكتفى الشاعر الأندلسى فى تعامله مع الطبيعة بالتفنن فى وصفها، ولا بتوظيفها فى الغزل فقط، وإنما يتجاوز ذلك إلى اعتبارها رموزا يعبر من خلالها عن همومه وأفكاره.

حلل هذا القول مستشهدا بما درست من شعر أندلسى.

إنجاز التلميذة: إيناس بن حمودة

معهد ابن سينا بمساكن

نهل الشعر الأندلسي من الشعر العربي القديم وخاصة المشرقي منه فجاء مترسما خطاه ، محافظا على منهجه وطارقا لمواضيعه المألوفة لكن في العصر الأموي تحرر شعر الأندلس من ربقة الشعر العربي القديم وعروته و قد ساهمت عدة عوامل في ازدهاره حيث تميزت الأندلس في ذاك العصر بتمدنها و تطور حضارتها و ثرائها من جهة و جمال طبيعتها وبهائها من جهة أخرى فانبرت زمرة من الشعراء الأندلسيين تصوغ الشعر و تميزوا بخاصة في النظم في غرض الطبيعة التي لم يكتف الشاعر الأندلسي بالتفنن في وصفها و توظيفها في الغزل بل تجاوز ذلك إلى اعتبارها رموزا يعبر من خلالها عن همومه و أفكاره .

فماهي الوسائل و الأساليب المعتمدة في التفنن في وصف الطبيعة ؟ وكيف مثلت عناصرها رموزا يعبر من خلالها الشاعر عن همومه وأفكاره؟

ملتقى أساتذة العربية في ولاية نابل

الطبيعة الأندلسية ساحرة فتانة ألهمت الشعراء ففجروا منها المعاني والصور التي ألبسوها حلة من جميل الأساليب والفنيات، فكانت البلاغة العلم الذي استقوا منه أداتهم الشعرية حيث توخوا أسلوب التشبيه في وصف عناصر الطبيعة وتفصيلها، فكان أولا وسيلة ليقرن بها الشاعر عنصرا طبيعيا بآخر، فوظف معجم الطبيعة من زهر و ماء وشجر مستمدا هذه العلاقات و الصور الخارقة للمألوف من قدرته التخييلية التي

منطلقها الواقع الموضوعي ومرساها الصورة الشعرية، وللتشبيه أنواع أكثرها تواترا التشبيه التمثيلي حيث تشترك عناصر المشبه و المشبه به في صورة شعرية مخصوصة ومثال ذلك البيت التالي لابن خفاجة : ملتقى أساتذة العربية في ولاية نابل

"الزهر منشقة عنه كمائمه كالجوهر انشق عن شفافه الصدف"

ولم يكنف الشعراء بالتشبيه أسلوبا للوصف و لتقريب الصورة بل وظفوا الاستعارة أيضا لتحقيق ذلك، فالشاعر الأندلسي يستلهم من الطبيعة ذلك الخيال الذي يطوفه في أرجائها ليكون علاقات قائمة على الاستعارة حاذفا المشبه به ملمحا له، و لم يكن المشبه به عنصرا من الطبيعة دائما أي نفس جنس المشبه بل نوع الشعراء في المشبه به أو بالأحرى المستعار فكان في مواطن عديدة مستمدا من عالم الإنسان وبخاصة المرأة، وهنا يتجلى التشخيص فابن خفاجة أنسن عناصر الطبيعة وجعل لها، حواسا فأنطقها، و جعلها تتحرك إذ أسبغ عليها الحياة ومن ذلك بيته هذا :

"فى أبطح رضعت ثغور أقاحه أخلاف كل غمامة مدرار"

إضافة إلى هذا البيت الذي يتجلى فيه التماهي بين عالم المرأة و عالم الطبيعة موظفا معجم الزينة :

"و قد ارتدى غصن النقا و تقلدت حلى الحباب سوالف الأنهار"

وبذلك فإن التشبيه و الاستعارة وظفا لتحقيق التميز والفرادة وتقريب الصورة للقارئ المتلقي ،فكانت الكناية الأسلوب الثالث لا لتقريب الصورة فقط وإنما لتحسينها وتجميلها وإخراجها في شكل مغاير للمعهود، ومثال ذلك

تصوير ابن صارة الشنتريني النار تصويرا بديعا غريبا حملنا على حبها و الاستمتاع بتخيلها وإبصارها، إذ كنى عنها بصفات تدل على نورانيتها وجمال اشتعالها، فقد قرنها بصفة الالتهاب عندما كنى عنها بـــ"حمراء" يقول:

"حمراء نازعت الظلام رداءه وهنا و زاحمت السماء بمنكب"

كما كنى عنها بمصدرها "ابنة الرند"_في قوله :

"لابنة الرند فى الكوانين جمر كالدرارى فى دجى الظلماء"

هذه إذن، كانت الصور الشعرية باعتماد التشبيه والاستعارة والكناية والتي أخرجت المعنى المألوف على غير المتعود به، الأمر الذي ميز الشعراء الأندلسيين عن غيرهم، وقد تعمقوا_في التفنن و أبدعوا، فكانت المحسنات البديعية سبيلا لتوشيح أشعارهم وتزيينها، وتتفرع إلى محسنات لفظية باعتماد الجناس الذي يتميز بوظيفته الجمالية الترصيعية من جهة، وبوظيفته الغنائية الإيقاعية من جهة ثانية. ولعل تواتره الكثيف_في الشعر الأندلسي دليل على انتشار مجالس اللهو والغناء، و تتعدد ثنائيات الجناس وتتنوع، ويبرز جليا_في هذا البيت لابن خفاجة :

ملتقى أساتذة العربية في ولاية نابل

"ليت شعرى هل دهرى عطفة فتجمع أوطارى على و اوطانى"

ولم يقتصر الشعراء على الجناس أسلوبا للتوشيح، بل وظفوا_في سبيل ذلك المحسنات المعنوية، كالطباق الذي يحدث ذلك الجو من الاضطراب وينشئ المفارقات، و كالمقابلة التي تشتمل على مجموعة من الطباقات التي تتضافر لتكون معنيين متضادين وقد قيل "لو لا وجود الأضداد لما كان للمعنى معنى"

فكانت المقابلات وسيلة لابراز التحول في المعنى بالاعتماد على معجم الطبيعة الذي تحفل به جل الاشعار الأندلسية على اختلاف أغراضها, و من هذه الأغراض الغزل إذ وظفت عناصر الطبيعة في وصف الحبيبة المتغنى بها، فقرنت بالشمس لإشراقها و نور محياها و بغصن البان لرشاقتها و بالسوسان لنعومة أناملها. فكانت العلاقة بين المرأة و الطبيعة عند وصف جمالها المادي بين محسوس و محسوس، أما عند وصف جمالها المعنوي الخلقي فتكون العلاقة بين مجرد ومحسوس إذ عبر ابن الآبار :

ملتقى أساتذة العربية في ولاية نابل

"و تبسمت عن واضحات لآلئ مغروزة في فائق المرجان

ولئن رنت بلوا حظ من نرجس فلقد عطت بانامل السوسان"

ويركز الشاعر الأندلسي على توظيف الطبيعة في الوصف الحسي للمرأة بالأساس فيكون بذلك شبيها بشعراء الغزل الإباحي مثل عمر بن أبي ربيعة و يتجلى هذا واضحا جليا في هذا البيت لابن خفاجة :

"وهبني يجني ورد خديه ناظري فمن لفمي منه بتفاح لبنان"

وهكذا ومن خلال كل ما سبق نتبين اهمية الصنعة الفنية في إخراج المعنى بطريقة مغايرة للمعهود حيث تضافرت أساليب البيان والبديع ومعجم الطبيعة في تحقيق لمسة الشاعر الأندلسي الخاصة به المتفردة المتميزة عن لمسات غيره من الشعراء. ومن جانب آخر نستخلص ذاك التماهي بين عالمي المرأة و الطبيعة، حيث يوظف عالم المرأة و مكوناته لوصف

عناصر الطبيعة سبيلا لتشخيصها وأنسنتها. كما تستعمل هذه الأخيرة كوسيلة لوصف محاسن المرأة والتغني بها فالجمال مزدوج الأمر الذي يذكي قوة التأثير في القصيدة الأندلسية و قد تجاوز الشاعر الأندلسي وصف الطبيعة كعالم محسوس مادي إلى اعتبارها رموزا يعبر من خلالها عن همومه و أفكاره، ففيم يتجلى ذلك ؟

ملتقى أساتذة العربية في ولاية نابل

تحضر الرمزية في شعر الطبيعة الأندلسي وهي ناتجة عن قدرة الشاعر الفائقة على التخييل إذ بخياله يتصور مشاهد تؤلفها عناصر من الطبيعة تحمل رموزا تحيل على معان عديدة و قد توخى الرمز أسلوبا ليعبر من خلاله عن همومه ومشاغله أي عن حالات نفسية مختلفة كالشوق والحنين و الحزن فهو يسقط هذه الأحاسيس و الهموم على عناصر الطبيعة كالزهر و الشجر و النسيم، فتترجم أحوال الشاعر من خلال صورتها كابن زيدون مثلا الذي أسقط حالته النفسية وما فيها من الحزن والاعتلال النفسي لهجر الحبيبة له إذ أدرج في هذا السياق البيت التالي :

"و للنسيم اعتلال فى أصائله كأنه رق لى فاعتل اشفاقا"

ولم يكن الرمز وسيلة ابن خفاجة لترجمة أحواله فحسب وإنما للتعبير عن أفكاره كذلك، إذ يعبر مثلا عن أهمية التأمل والنظر في العواقب والتفكير في الحياة من خلال أنسنته الجبل، ذاك الجماد الساكن ، الذي بعد وصفه بتوظيف معجم الانسان "طماح ، منكب ، وقور، مفكر يطاول" أضحى رمزا لإنسان يفكر و يتأمل و قد أدرج في ذلك هذا البيت:

"وقور على ظهر الفلاة كأنه طوال الليالى مفكر فى العواقب"

وتتجلى أفكار الشاعر الأندلسي المسقطة على عناصر الطبيعة الرمزية في التزهد حيث عبر ابن الأبار عن رؤيته الخاصة للحياة في إطار وصف للطبيعة موظفا المعجم الديني المتجلي في هذه الألفاظ "غرف الرضوان"، "المحاريب"، "الأبيات" فقد أضحى الروض محرابا يقدس فيه الشاعر الخالق و يسبحه و قد نظم في ذلك :

ملتقى أساتذة العربية في ولاية نابل

"أضحت إلى غرف الرضوان داعية تلك المحاريب و الأبيات و الغرف

تلهيك عن زخرف الدنيا زخارفها و عن أغانى الغوانى ورقها المهتف"

صفوة القول، وظف الشعراء الأندلسيون التخييل الشعري لإرساء صور شعرية تتضافر الأساليب لرسمها كالاستعارة والتشبيه والكناية ولجعل عناصر الطبيعة رموزا تعبر عما يخالج الشاعر من هموم وانفعالات و ما يتضارب برأسه من أفكار .أما التو شيح و الترصيع فكان بتوظيف البديع من جناس و طباق و مقابلة و كانت اللغة الموظفة سهلة رقيقة بعيدة عن الغريب و الحوشي .

ختاما، فإن الشعر الأندلسي اكتسب طابعه الخاص المتفرد من خلال الفنيات و الأساليب الموظفة و التي تمثل معيار التألق و التميز للناظم. ولئن كان مجددا في طريقة إخراج المعنى إلا أنه لم يخل من التقليد في البناء كتوظيف الوقفة الطللية المعهودة في القصائد العربية القديمة.

فهل كان الشعر الحر الحديث محافظا على بعض السنن التقليدية ؟